أَحْمَد الشَّريف ودوره في الحَرَكَة الوطنيّة والنِّضَال ضد الاحْتِلال الأجنبي

(1902 – 1931)

أ.منى أبوالقاسم أبوسبيحة.
كلية الآداب/ جامعة سرت / ليبيا
monaabolkasm1977@gmail.com

المُلخَّصُ:

بَرَزَ في حركة المقاومة الليبية فترة التوسع الاستعماري الأجنبي، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر عدد من الشخصيات التي كان لها دور كبير في مواجهة القوى الأجنبية، التي كانت تهدف إلى احتلال الأوطان والبحث عن مناطق نفوذ لها، وكانت الحركة السنوسية في مقدمة الحركات الدينية في شمال إفريقيا التي واجهت الإستعمار بعد تحولها من حركة دينية دعوية لنشر الإسلام من خلال الزوايا التي أقامها زعماؤها في كثير من الأقطار العربية والإفريقية منذ عام 1843م ، ثم تحولها لحركة سياسية وتوسيع أهدافها، وذلك بسبب الظروف الدولية التي أصبحت تهدد مناطق نفودها في جنوب الصحراء وغيرها ، وماكان منها إلاَّ إعلان الجهاد المقدس للدفاع عن الدين والوطن، وبرزت شخصية أحمد الشريف السنوسي في قيادة الحركة خلفا للسيد محمد المهدي الذي قارع خلال المرحلة الأولى الاستعمار الفرنسي شمال تشاد مكان إقامته، وعقب وفاة المهدي سنة1902، تولى أحمد الشريف الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد وهو ما عرف بالحرب الليبية الفرنسية في تشاد 1899 – 1914 ، وانتهت الحرب بخروج المقاومة وسيطرة فرنسا على تشاد، لتتحول ساحات القتال بعد ذلك إلى ليبيا لمقاومة الغزو الإيطالي 1911، وعند قيام الحرب العالمية الأولى واجهة الحركة السنوسية الإنجليز في مصر واعلنت الحرب ضدهم إلى جانب الأتراك .

بنـاءً على ذلك تتناول الدراسة نضال المجاهد أحمد الشريف السنوسي وموقفه من الإحتلال الفرنسي لتشاد والإحتلال الإيطالي لليبيا والمعارك التي خاضها المجاهدون الليبيين ضد فرنسا وإيطاليا تحت إمرته ، إضافة إلى حملته ضد الانجليز في مصر، وأسباب هزيمة أحمد الشريف وانعكاساتها على حركة الجهاد الليبي .

الكلمات المفتاحية: السنوسية، واداي– برقة– أحمد الشريف– الاحتلال الأجنبي.

المقدمة :

هناك عدة خصائص وسمات لحركة الجهاد الليبي وتشمل الجوانب السياسية والاقتصادية ، ولكن العامل السياسي يطغى على كل هذه الجوانب، كان موقع ليبيا هو من خلق هذه الوضعية، بأن كانت ليبيا حلقة الوصل بين كثير من المناطق في الشمال من البحر المتوسط، ودول جنوب الصحراء وأترت هذه المعطيات السياسية خلال هذه الفترة من الدراسة ومابعدها ، بحيث إرتبطت حركة الجهاد الليبي بمشاركة أبناء ليبيا في النضال ضد القوى الأجنبية ومنها مقاومة الغزو الفرنسي لتشاد ودور المجاهدون الليبيين في مقامته تحت القيادة السنوسية طيلة أربعة عشر عامًا، حيث برزت شخصية أحمد الشريف عقب وتوليه زمام الأمور القتالية في تشاد سنة 1902م ، خلفاً لعمة محمد المهدي السنوسي ، قدم خلال سنوات عديدة صفحات من النضال الليبي على أرض تشاد ، كما استشهد الكثيرون من المجاهدين الليبيون دفاعا عن الدين والأرض، حتى سنة 1914م وإعلان السيطرة الفرنسية على تشاد، لتتحول ساحات القتال بعد عودة المجاهدين إلى ليبيا ضد الغزو الإيطالي 1911م ، حتى كان أحمد الشريف في مقدمة القادة المقاومين للغزاة الإيطاليين ، كما ولي أحمد الشريف خلفاً لانور باشا عقب خروج تركيا بعد توقيع معاهده أوشي لوزان زمام الأمور السياسية والعسكرية في برقة ، واستمرت هذه المرحلة حتى 1918 ، عقب هزيمتة في الحملة التي قادها ضد الإنجليز في مصر خلال الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م ،التي كانت لها انعكاسات خطيرة على حركة الجهاد الليبي بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة ، وأعقب ذلك خروج السيد أحمد الشريف من ليبيا ، وبخروجه شهدت حركة المقاومة في برقة تغير كبير بأستلام إدريس السنوسي القيادة وانتهاج سياسة الإتفاقيات والمعاهدات أدت هذه المتغيرات إلى تراجع الجانب العسكري وبروز الجانب السياسي فيها .

– الأهمية والهدف :

تتجلَّى أهمية هذه الدراسة أنها تغطي فترة تاريخية مهمة من حركة الجهاد الليبي والتي أردنا من خلالها تسليط الضوء حول الشخصيات القيادية ، التي لعبت أدواراً بارزة فترة التواجد الإستعماري الأجنبي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومحاولاته السيطرة على البلدان العربية والإسلامية؛ لذلك جاءت أهداف هذه الدراسة لتبين الدور الكبير التي لعبته الشخصيات الوطنية في الكفاح ضد القوى الأجنبية الإستعمارية .

– إشكالية الدراسة :

يُعَدُّ المجاهد أحمد الشريف من رجالات ليبيا المؤسسين للحركة السنوسية، التي وصلت في أثناء زعامته خلال الفترة من سنة 1902 إلى سنة 1916م إلى ذروة إنتشارها ونجاحها ، كما عرفت الفترة ذاتها مواجهات فعلية شرسة بين الحركة السنوسية والقوى الاستعمارية في كلٍ من تشاد وليبيا، والحرب ضد الانجليز في مصر، وعليه تمحورت عدة أسئلة فرعية حول هذه الاشكالية وهي :

1- ما الدور الذي قام به أحمد الشريف بعد تولية القيادة العسكرية ضد الغزو الفرنسي في تشاد ؟.

2- ما موقف القبائل الليبية والحركة السنوسية المتواجدة في تشاد من الغزو الفرنسي عام 1902م؟.

3- ما أسباب تحول حركة المقاومة ضد فرنسا في تشاد إلى الاراضي الليبية سنة 1914م ؟.

4- ما أهم تأثيرات السياسة الدولية أثناء الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي ؟.

5- ما أسباب انضمام أحمد الشريف إلى جانب الأتراك والالمان خلال الحرب العالمية الأولى في الحرب ضد الانجليز في مصر ؟.

6- ما الظروف التي أحاطت بالسيد أحمد الشريف بعد هزيمته أمام الانجليز وأدت إلى خروجه من ليبيا ؟.

– منهج الدراسة :

ستعتمد هذه الدراسة منهجاً يعتمد على المهج السردي وتحليل الأحداث ، وفق ماهو متاح من مصادر ودراسات حول الموضوع ، ومناطرح حولها من أراء علمية .

شملت هذه الدراسة إلى جانب المقدمة والخاتمة ، ثلاثة مباحث ، وقائمة للمصادر والمراجع ، والملاحق .

المبحث الأول : أحمد الشريف ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي في تشاد 1902 – 1914 م .

المطلب الأول: أحمد الشريف حياته ونشأته .

المطلب الثاني:مقاومة أحمد الشريف للإحتلال الأجنبي .

المطلب الثالث: مقاومة الإستعمار الفرنسي في تشاد 1899 – 1914م .

المبحث الثاني : الكفاح ضد الإستعمار الإيطالي والإنجليزي 1911 – 1918م :

المطلب الأول: مقاومته الغزو الإيطالي لليبيا 1911 – 1918 .

المطلب الثاني : حملة أحمد الشريف ضد الانجليز في مصر خلال الحرب العالمية الاولى 1914 – 1918 .

المبحث الثالث: هزيمة السيد أحمد الشريف ونهاية مقاومته .

المطلب الأول: خروج أحمد الشريف من ليبيا .

المطلب الثاني: صدى وفاة السيد أحمد الشريف في العالم العربي والإسلامي .

أما الخاتمة فقد تناولت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

المبحث الأول: أحمد الشريف ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي في تشاد 1902–1914م:

المطلب الأول: أحمد الشريف حياته ونشأته :

هو أحمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي، إذ يتفق الكثير من المؤرخين على أنه ولد بالجغبوب سنة 1873م . تولى عمه محمد المهدي تربيته وتعليمه وتحفيظه القرآن الكريم في سن مبكره وذلك في السن السادسة، وكان من بين من تعلم على يديه من الشيوخ : الشيخ محمد المهدي السنوسي ، والشيخ أحمد الريفي بن الشيخ مصطفى المدني التلمساني ، وإيضاً الشيخ عمران ابن بركه .

أثَّرت هذه التنشئة الإسلامية على شخصية أحمد الشريف إلى جانب ميله الدائم إلى مجالسة شيوخ الدين والتحدث معهم للإستفادة من علمهم ، نتج عن هذا الإحتكاك شخصيته القوية والقيادية إذ كان يحرض على قتال العدو والدعوة للجهاد في سبيل الله أمام القوى الأستعمارية التي بدأت بالسيطرة على بلاد المسلمين (1).

وخلال سنة 1317 هـ رافق عمه محمد المهدي(*) في تنقلاته من الجغبوب إلى الكفرة ، ثم إلى منطقة قرو بالسودان الأوسط ، للتبشير بتعاليم الدين الإسلامي والنهوض بالمسلمين وبناء مجتمع إسلامي متيقظ لما يحط به من مؤامرات ودسائس وتجسد ذلك من خلال الكفاح ضد الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي الذي أعلى من شأن العروبة في التصدي لهذا الزحف الاستعماري (2)

وقد تولى السيد أحمد الشريف زمام الأمور بمنطقة السودان الأوسط (تشاد) عقب وفاة عمه محمد المهدي سنة 1902م ، وعرفت هذه الفترة بحربه للفرنسيين الذين أغاروا على مناطق كوار ووادي ، تبستي ، بركو بتشاد خلال 1899 حتى سنة 1914 وإعلان السيطرة الفرنسية على المنطقة .

وسوف نستعرض خلال هذه الدراسة ميادين القتال التي تولى قيادتها السيد أحمد الشريف ، في كلٍ من تشاد ضد الفرنسيين ، والإيطاليين في ليبيا ، والإنجليز في مصر .

المطلب الثاني: مقاومة أحمد الشريف للإحتلال الأجنبي :

بسبب ماحققته السنوسية من إستقلال إقتصادي وسياسي تمكنت من مقاومة الإستعمار في منطقة السودان الأوسط تشاد ، وليبيا ، بعد تعرض القارة الإفريقية للحملات الإستعمارية المكثفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فكان الجهاد طريقها لمحاربة الإستعمار ، فقد اصبحت الزوايا مراكز لجمع السلاح

والمجاهدين ، فقد ضمت اليها أعدادًا كبيرة من القبائل سواء في ليبيا ، أو تشاد تحت قيادات من زعماء الحركة السنوسية ، كما سيتضح من خلال هذه الدراسة .

المطلب الثالث: مقاومة الإستعمار الفرنسي في تشاد 1899 – 1914م :

إنَّ العلاقات بين ليبيا وتشاد علاقات موغلة في القدم، إذ ارتبطت المنطقتين بروابط تاريخية في كثير من الجوانب الإقتصادية والسياسة والإجتماعية، حيث وصلتها أعداد كبيرة من الهجرات الليبية عبر فترات كبيرة من تاريخ المنطقتين فاتشاد منطقة مجاورة لليبيا وتشكل بعداً أمنيًا وعمقاً إستراتيجياً ، إضافة إلى اتخاد الحركة السنوسية من مناطق الشمال التشادي فترة المهدي عقب انتقاله من الكفرة وتوجهه إلي قرية قرو باتشاد واتخادها مقرا للحركة وقاعدة انطلقت منها قوات المجاهدين عقب الغزو الفرنسي لتشاد 1899. وتجسدت هذه المرحلة من حياة أحمد الشريف، بعد وفاة عمه المهدي السنوسي سنة 1902م ، وتولى السيد أحمد الشريف قيادة المجاهدين ضد الغزو الفرنسي ، الذي بدوره أعاد ترتيب صفوف المجاهدين وتقسيم الأدوار على شكل دوريات بعد نقل مقر القيادة إلى واحة الكفرة (3) حيث تصدر التوجيهات من السيد أحمد الشريف ومستشاره أحمد الريفي إلى زعماء الجهاد القيمين على الزوايا السنوسية داخل تشاد في تنظيم دل على ذكاء الرجل الذي حير ساسة باريس اعادة صياغة وتوضيح أكثر لسياسة أحمد الشريف في إقامة معسكرات القتال التي تميزت بها حركة نضاله في تشاد وليبيا، بحيث جاءت توزيع معسكرات المجاهدين على النحو التالي : (4)

1 . محمد البراني الساعدي على رأس المجاهدين في كانم وكاوار، و محمد السني يقود المجاهدين في برنو وباقرمي

2 . صالح ابو كريم يشن الغارات على الجيش الفرنسي في جبل الدور.

3 . محمد الأشهب يدافع عن واحات واو الصغير – وواوالكبير .

4 . عبد ربه البرعصي وعبد الرزاق الفاخري يسيطران على الوجنقة الكبرى والصغرى.

5 . عبد الله الطوير الزوي يكافح في عين كلك بين كر وفر ومحمد عبدالله يتعرض لهجوم مكثف بواحة قرو ويستشهد العديد من جنوده .

6. إبراهيم الغبي على رأس المجاهدين في واحة أرضي .والسنوسي الغاني يرابط في واحة (ون) التشادية؛ استعدادًا للقتال.(5)

بتولي أحمد الشريف قيادة المجاهدين في تشاد ، وإعادته النظر في تشكيل قواته من جديد كما وسبق ذكره، بدأت الإتصالات بشكل مكثف بين واحات الجنوب الليبي والمجاهدين، إذ أعتمد أحمد الشريف خلال هذه المرحلة على جهاز إداري دقيق يشرف على جمع الإرادات والأعشار من المناطق الليبية لدعم ميزانية

الجهاد، وتحولت الكفرة إلى قاعدة مهمة ينطلق منها المجاهدون لدعم النضال ضد الإستعمار الفرنسي في مناطق باقرمي وبرنو .(6)

استمرت المعارك بعد تولي بوعقيل دور البراني في كانم ، الذي ضم تحت لوائه قبائل أولاد سليمان ، القذاذفة ، والمغاربة ،ى وورفلة ، وزوية ، إلى جانب قبائل الطوارق ، والتقت هذه القوات مع الفرنسيين بعد مهاجماهم تجمعات المجاهدين في بئر العلالي يوم 4 – 12 – 1902م ، الذين صمدوا في وجه القوات الفرنسية في اليوم الأول للمعركة ، التي عرفت ببئر العلالي الثالثة ، غير أن القوات الفرنسية تمكنت من هزيمة المجاهدين في اليوم التالي ، وسقط كثير من المجاهدين شهداء وعلى رأسهم القائد محمد بوعقيلة الذي يملك شجاعة وبراعة في فنون القتال وكان استشهاده يوم 5 – 12 – 1902م ، لينظمَّ إلى باقي المجاهدين الذين وصل عددهم في هذه المعركة إلى مائة شهيداً، فيما كان استشهاد بوعقيلة سبباً في انسحاب المجاهدين نحو مناطق بركو "فايا" لإعادة تنظيم وتشكيل قواتهم من جديد (7).

كانت جهات تبستي وبرقو وانيدي هي مناطق الإحتدام بين السنوسيين والفرنسيين، وظهر الصمود والعزيمة للمجاهدين تحت قيادة السيد أحمد الشريف، حيث تكبد الفرنسيون هزائم كبيرة وخسائر في الأرواح والأموال ، وكان في مقدمة المجاهدين الشيخ عبدالله الطوير الذي شهد الفرنسيون له بالمقدرة والشجاعة ، وكان بالنسبة لهم خصم عنيد أرهق جهودهم القتالية (8)

ومع اشتداد المعارك تمكن الفرنسيون بفضل اسلحتهم المتطورة أن يحققوا الانتصارات، فاحتلوا كوار وانيدي – وانيري خلال سنة 1906 م ، وتمكنوا خلال فترة من احتلال عين كلك إقليم بركو "فايا" ، حيث يعسكر المجاهد البراني الساعدي ، الذي تمت مهاجمة معسكره صحبة عدد من المجاهدين بتاريخ 20 – 4 – 1907 م من قبل

قوة فرنسية بقيادة النقيبين بوردو وكوروني، ودارت معركة كبيرة مع قوات المجاهدين استشهد خلال السيد البراني شيخ زاوية بئر العلالي ، ليحكم الفرنسيون سيطرتهم الكاملة خلال عامين على واداي ، وقاموا بهدم الزوايا وتخريبها .(9)

وعلى الرغم من هذه الخسائر للمجاهدين وتدمير الزوايا التي كانت بمثابة حواضر حقيقية ومنظمات دعوية بامتياز، كان بالمقابل الدفاع عنها من قبل أهاليها دفاعاً مستميت منذ استهداف أول زاوية وهي زاوية بئر العلالي سنة 1901 وبسقوطها فتحت صفحة من النضال المشرَّف للسنوسية بانضواء القبائل تحت جناحها من أجل الدفاع عن ديار الإسلام ضد عدو واحد .(10)

خلال سنة 1908م قام النقيب سلبي والملازم لانو بحملة على كلكة ولكنها منيت بهزيمة فادحة ، وتتابعت الهزائم الفرنسية في سنة 1909م ففي انيدي "فايا" أوقف المجاهد صالح كريم تقدم القوات الفرنسية نحو المنطقة ، كما هاجمت مجموعة من المجاهدين بقيادة عبدالله الفضل الزوي كتيبة فرنسية وتم أسر الكثير من الجنود الفرنسيين وتم أخدهم الى عين كلك .(11).

ومع اشتداد المقاومة والهزائم قامت القوات الفرنسية بانتهاج إستراتيجية عسكرية في القتال و تم تكليف العقيد لارجو سنة 1910م لإدارة العمليات العسكرية شمال تشاد للقضاء على المقاومة الليبية .(12).

وفي تلك الأثناء كان السيد أحمد الشريف يقوم بعدد من التحركات السياسية والدبلوماسية في المنطقة ، حيث أجرى عدد من الإتصالات مع الحكام والسلاطين أمثال : سلطان واداي (دود مرة) سنة 1903م واقنعه بسحب إعترافه بالحماية الفرنسية على كانم وباقرمي، وكانت غاية السيد أحمد الشريف حسب رأي الباحثة من هذا التواصل من أجل المحافظة والحصول في نفس الوقت على الدعم والمساندة من السلطان دود مرة في القتال ضد الفرنسيين، حيث رأى أحمد الشريف أن التوسع الفرنسي في مناطق الصحراء يعتبر تهديدا مباشرا لحركنه الإسلامية ، ولتجارة القوافل التي كانت تدعم بمردوداتها الإقتصادية نظام الزوايا في تلك المنطقة ، فقد كان السلطان دود مرة تحالف مع الفرنسيين ضد قوات أحمد الشريف ،وبعد وأنتهي هذا الإتفاق بالتأكيد على استمرار العلاقات بينهما خاصة بعد اعتداءه دود مرة على منطقة عين واو اثناء التحالف مع الفرنسيين وطلب التعاون على إعادة اصلاح التخريب بمعاومة شيوخ الزوايا السنوسية .(13).

شملت المراسلات التي قام بها أحمد الشريف أيضًا سلطان الجنينية تاج الدين وسلطان دارفور على دينار، وكانت غاية السيد أحمد الشريف منها تشكيل قوة إسلامية موحدة لمواجهة الفرنسيين، كما تم إرسال وفد إلى إستامبول لتوضيح الصورة أمام السلطات العثمانية حول أوضاع المجاهدين ونقص مواردهم ، إذ تمكن أحمد الشريف من الحصول على الدعم من السلطات العثمانية الأوامر لتحرك قوة بقيادة رفقي باشا متجهه من مرز ق نحو الدواخل في الأراضي التشادية والتي اكتفت بالتمركز بالقرب من فايا وترى الباحثة أن الربط في السياسية بين الدولة العثمانية والقيادة السنوسية جاء عقب طلب السيد أحمد الشريف من الدولة العثمانية إرسال قائمقام إلى الكفرة ، علية نقول أن هذا التغيير الجذري في العلاقات بين الطرفين فرضته ضرورات الحرب مع فرنسا ، وما زاد من تدعيم العلاقات بعد هزيمة المقاومة السنوسية في تشاد وخوفاً من التوسع الفرنسي شمالاً إلى الكفرة طلب السنوسيون من الحكاية العثمانية إرسال قائمام إلى الكفرة هدفه الاستفادة من السيادة العثمانية لردع التوسع الفرنسي عام 1902 ، ونجحت هذه السياسة في كبح التوسع الفرنسي نحو الكفرة .(14).

استطاع السيد أحمد الشريف أن يؤسس قوة إسلامية تمكنت من التصدي للفرنسيين في عمليات عسكرية مشتركة منها مهاجمتها قوة فرنسية بالقرب من الجنينة سنة 1910 والحاق الهزيمة بها، والاستيلاء على عدد من الأسلحة والذخيرة .وقد شهدت سنة 1913 معركة أم لعظام ، التي وقعت غرب مدينة فايا ، وكانت قوات المجاهدين مكونة من قبائل القرعان والبراعصة ، والزوية وأولاد سليمان ، التي تعرضت خلالها قوات المجاهدين لخسائر كبيرة بسقوط أعداد من المجاهدين على رأسهم المجاهد عبدالله الطوير والمجاهد عبدالرحيم الدلانية ، وعبدالسلام الجويفي غيرهم من المجاهدين وهكذا قدم أبناء ليبيا أرواحهم فداء للوطن في حرب أرهقت أعدائهم لسنوات طويلة .(15).

استمرت القوات الفرسية في تعقب المجاهدين خلال الفترة من 1913 – 1914 م شمال تشاد ، وتكثيف الهجوم على منطقة بركو ، وتحديدا وبتاريخ 14 – 12 -1913م تعرضت المنطقة لهجوم من قبل العقيد لارجو ، الذي واجهته مقاومة كبيرة من قبل المجاهدين بقيادة المهدي السني في "قرو" ، الذي اصيب أثناء القتال وتمكنت القوات الفرنسية من هزيمة المجاهدين وأسر الكثير منهم .

تعد معركة قرو من أهم المعارك التاريخية ، التي تصدى فيا المجاهدين للغزو الفرنسي لتشاد ، ورغم بسالة المقاومة تمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى برداي في 23 – 6 – 1914م ،شمال تشاد ، وتم رفع العلم الفرنسي على جبال تبستي بعد إنسحاب المجاهدين نحو الكفرة التي تجمع فيها المجاهدين القادمين من تشاد .كما وصل الكفرة قيادات لها مكانتها في النضال والجهاد مثل المجاهد : محمد كاوصن ومحمد هاشم ، وغيث أبوقنديل وغيرهم من المجاهدين الذين لعبوا أدواراً مميزة بعد عودتهم للوطن في التصدي للاستعمار الإيطالي ، وبرفع العلم الفرنسي على جبال تبستي قررت الحكومة الفرنسية ضمها إلى كوار ، واطلقت عليها دائرة كوار تبستي .(16)

– وعقب هذه المعارك المشرفة ضد الغزو الفرنسي في تشاد انسحبت قوات المجاهدين إلى ليبيا ويمكن أن نرجح هذا التراجع إلى عدة عوامل، وهي :

1 – قلة أعداد المجاهدين وضعف إمكانياتهم القتالية، مقارنة بقوة وعتاد القوات الفرنسية .

2 – انعكست العلاقات الإيجابية بين تركيا وفرنسا سلباً على أحوال المجاهدين من حيت توقف الدعم في حصول المجاهدين على الأسلحة والذخائر والمؤن .

3 – وقوع العدوان الإيطالي على السواحل الليبية 1911م، الأمر الذي أدَّى إلى انسحاب قوات المجاهدين إلى ليبيا للمشاركة في الحرب ضد إيطاليا وعلى رأسهم السيد أحمد الشريف .

4 – أدَّى اندلاع الحرب العالمية الأولى وتداعياتها العسكرية على الأوضاع العسكرية في ليبيا، وتشتت جهود المجاهدين بين جبهات مختلفة ، أثرت بدورها على حركة الجهاد الليبي (17).

المبحث الثاني: الكفاح ضد الإستعمار الإيطالي والإنجليزي 1911 – 1918م :

المطلب الأول: مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا 1911 – 1918 :

في أثناء وقوع الإعتداء الإيطالي على ليبيا خلال 1911م ،كان السيد أحمد الشريف مقيما في الكفرة حيث كان يوجه المقاومة العسكرية ضد القوات الفرنسية في تشاد كما سبق ذكره .

ويمكن أن نعتبر أن القتال لم يتوقف بين السنوسيين والقوي الإستعمارية ، عقب الإحتلال الفرنسي لتشاد 1914م، بل نجد السيد أحمد الشريف يستمر في الإشراف على العمليات العسكرية فعندما علم بنبأ الغزو الإيطالي استشاط غضبا وتأهب لدعوة الناس إلى حمل السلاح وتحريضهم على الجهاد ضد الإيطاليين في ليبيا حيث تورد الوثائق دعوته للناس للجهاد ضد ايطاليا وغزوها للبلد وطلب الدعم والإمداد للمجاهدين ، كما عمل على دعوة أتباعه وأعوانه وجمع مشايخ القبائل إلى إجتماع معهم ، من أجل التشاور في أمر التطورات الجديدة ولما طرح موضوع ضرورة المقاومة للغزو الإيطالي فوجئ بإجماع الحاضرين على رفض المقاومة متحججين في ذلك بأن امكاناتهم العسكرية والبشرية والمادية لا تقوى على مقاومة دولة أوروبية قوية مثل إيطاليا ،غير أنه رد قائلا (والله نحاربهم ولو لوحدي بعصاي هذه) (18)

حيث شهدت ليبيا عقب اتفاقية أوشي لوزان 1912 م ظهور قيادتين : أحدهما ضمت منطقتي برقة وفزان وتولى قيادتها السنوسيون ، والأخرى في طرابلس وتولى قيادتها سليمان الباروني . وكان من بنود اتفاقية لوزان مغادرة الاتراك ليبيا ، وعندما تولى السيد أحمد الشريف زمام أمور الجهاد توجه إلى الجغبوب ، وطلب من أنور باشا ترك الأسلحة والذخائر ليغادر الجغبوب إلى الجبل الأخضر . وخلال هذه الفترة تمكن الإيطاليون من احتلال مناطق ترهونة الخمس وطرابلس ،كما اقتحموا الجبل الأخضر، وبدأ السيد أحمد الشريف أول خطوة نحو القتال ضد إيطاليا بالإنضواء تحت المقاومة المسلحة بقيادة أنور باشا في منطقة درنة ، التي رحبت بموقف السيد أحمد الرافض للاحتلال ، في الوقت الذي كانت إيطاليا ترى في السيد أحمد الشريف خطر على وجودها في برقة كانت تحاول بكل الطرق والوسائل أن تغير من مواقفه تجاهها وجعلت في هذا الأمر وساطة الخديوي عباس حلمي الثاني، وأرسلت وفد لمقابلته بالجبل الأخضر، وطلبوا منه بإسم الخديوي عباس كف القتال، واعتذر أحمد الشريف للوفد ورفض مقابلته .

كان عدد الجيش في برقة عند تسلّم السيد أحمد الشريف القيادة العسكرية ستة عشر ألف مقاتلاً، وقد قام السيد أحمد الشريف بإقامة نظام الأدوار منها في طبرق دور الممدور تحت قيادة ابراهيم باشا ، وفي جنوب القبة عرف بدور بئر سمندر برئاسة محمد حسين كما أقام دور البراعصة في جردس ، ودور الجراري جنوب البيضاء ، وكان لهذا الدور الأثر كبير في حركة الجهاد اذ استمر حتى سنة 1923م. وإلى الغرب من جردس أسس السيد أحمد دور جردس العبيد الذي كان يضم السيد عمر المختار (19) وخلال هذه المرحلة اصطدمت قوات المجاهدين بالقوات الإيطالية في عدد من المعارك منها معركة الكويسة ومعركة الرحيبة التي كان من المعارك القوية الذي خاضها المجاهدين ضد الإيطاليين.

أيضاً من المعارك الكبيرة كانت معركة سيدي كريم القرباع التي تعرف بمعركة " يوم الجمعة" التي هزمت فيها القوات الإيطالية أمام بسالة المجاهدين . وتقع هذه المنطقة على ضفتي وادي درنة ، حاول الإيطاليين في كثير من الأوقات تصفية المعسكرين سيدي عزيز، وسيدي القرباع ، قبل أن تقوى شوكتهما بوصول السيد أحمد الشريف لهما وكانت القوة الإيطالية في هذه المعركة مكونة من خمسة آلاف جندي مزودين بالمدافع والرشاشات وصلوا إلى منطقة سيدي القرباع يوم 16 – 5 – 1913 ، في محاولة لإحتلال الجبل الأخضر ،وفي الوقت الذي كان قد وصل السيد أحمد الشريف إلى منطقة الظهر الأحمر(20)

جرت هذه المعركة ذائعة الصيت والتي تعرف عند الإيطاليين بمعركة "كريم القرباع" ، فيمالا عرفت بين المجاهدين بمعركة يوم الجمعة ، والتي هزم فيها الإيطاليين هزيمة كبيرة بلغت خسائرهم أربعمائة جندي مفقودين واتنين وسبعين قتيلا ،أما الخسائر بين الضباط كانت تسعة عشر قتيلا ، وعشر مفقودين ، كما كانت غنائم المجاهدين كبيرة بين تسعمائة وتسع وتسعين بندقية إيطالية باستثناء قطع الأسلحة الثقيلة .(21).

ورغم ضراوة المعارك التي يخوضها المجاهدين ، إذا أردنا التحدث حول الوضع العام في برقة ، فقد كانت هناك صعوبة في الأوضاع العسكرية من ناحية الحصول على الاسلحة، ومحاولات الانجليز في الصحراء الغربية مصادرة بضع قوافل تحمل تموين للمجاهدين ، كما صاحب ذلك صعوبة الاوضاع الاقتصادية، من انتشار الاوبئة والمجاعات، إضافة إلى سيطرة فرنسا على تونس والجزائر وتشاد والنيجر ، وحدود مصر مهددة بالإغلاق بسبب التحالف الايطالي الانجليزي (22).

المطلب الثاني: حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر :

عقب قيام الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م ، التي اشتركت فيها إيطاليا بجانب الحلفاء ، واشتركت تركيا بجانب المانيا ، للقتال ضد إيطاليا التي أجبرتها الإنسحاب من الأراضي الليبية بعد اتفاقية أوشي

لوزان 1912م ، ومن اجل ذلك حاول الأتراك تجديد صلاتها مع الساحة الليبية للتصدي لمطابع إيطاليا في البحر المتوسط وما زاد من مخاوفهم انضمام الأخيرة إلى جانب للحلفاء .(23).

حاول الضباط الأتراك كلا من نوري باشا مستعيناً بجعفر باشا إقناع أحمد الشريف بالهجوم على الجيش الإنجليزي في الصحراء الغربية ، وكان أحمد الشريف غير متحمس لفكرة قتال الإنجليز في مصر لمعرفته بعواقب هذه الحرب وعواقبها الوخيمة على حركة الجهاد ، ومن ناحية ثانية هو يقاتل إيطاليا في ليبيا .كان هدف السياسة التركية من اقحام أحمد الشريف في هذه الحرب من خلال توجيه قواته للهجوم على القوات الإيطالية والإنجليزية في مصر ، وذلك من أجل أن يخلقوا الاضطرابات على الحدود الغربية لمصر بحيث تشغل جانبا من الجيش الإنجليزي لمقاومة الزحف القادم من الشرق .(24) .

ولايمكن أن نتجاهل هذه المرحلة من سنة 1915م والتي تلقت فيها ايطاليا الهزائم أمام المقاومة الليبية في معركة القرضابية سنة 1915م ، والتي أخرت دخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى عام 1914م .، واجبرتها على الإحتفاظ ببعض المواقع على الشريط الساحلي في مدن طرابلس و الخمس ، أما الدواخل وفزان فقد تم تحريرها من قبل المجاهدين، أما برقة فقد ظل الوجود العسكري الإيطالي محدودا في مدن بنغازي والمرج (25).

قاوم السيد أحمد الشريف خطط الاتراك في دفعه نحو قتال الإنجليز ويمكن أن نوضح الأسباب التي كان يرتكز عليها السيد أحمد الشريف في مجاراته الأتراك في هذه الحرب وذلك يعود إلى عدة اعتبارات كان أحمد الشريف يضعها في إطار المصلحة العامة لحركة المقاومة الوطنية ، وذلك أن معظم تموينه كان يأتي عن طريق الحدود المصرية ، لهذا لم يجد دافعا لمواجهة الإنجليز في مصر وموضح ذلك بقوله لمحمد صالح حرب : (إن الأتراك إنما يريدون أن يورطوه في حرب مع الإنجليز قبل أن يستعد لها الإستعداد الكافي ، وأنه لا يمالىء الإنجليز محبة فيهم أو تقربا منهم ولكن مصر هي الباب الوحيد المفتوح الذي تأتيه منه الأرزاق والأقوات التي يستطع بفضلها متابعة القتال ضد الطليان فاذا أقفل هذا الباب تحرج موقفه)..(26) حول موقف محمد صالح حرب الذي كان أحد الضباط المصريين تابعا للقوات الانجليزية من الحرب بين السيد أحمد الشرف والإنجليز فقد شجعت الإنتصارات الاولية للسنوسيين صالح حرب كغيره من الضباط الاخرين ، فجمع الرؤساء والمشايخ وخاطبهم بالانضمام الى معسكر المقاتلين العرب والأتراك و إنضم بفرقته وعددها (145) جنديا إلى قوات أحمد الشريف الذي وصل عدد قواته إلى خمسة ألاف مقاتل ، وبالعودة إلى موقف السد أحمد من هذه الحرب وترى الباحثة من خلال المصادر أن السيد أحمد لم يرد أن يزج بالمجاهدين الليبيين الذين انهكتهم سنوات الحرب الطويلة في القتال ضد فرنسا في تشاد جنوب الصحراء، وضد ايطاليا في شمال البلاد(27).

زاد الضغط التركي على السيد أحمد الشريف للدخول في الحرب، وتمت موافقته بعد وصول رسالة من أنور باشا للسيد أحمد جاء فيه (جلالة السلطان عينكم رئيسا للمجاهدين في قارة أفريقيا ونائبا عنه ، ويأمل منكم الحرب على تونس والجزائر وفي مصر) (28).

بدأت تركيا بإرسال المعونات عن طريق الغواصات الالمانية إلى قصر حمد قرب مصراته ، على شكل أسلحة ، وكانت السياسة التركية تهدف للهجوم على مصر من الشرق عن طريق فلسطين ، وأن يكون هجوم السنوسيين من الغرب بعد نجاحهم في تعكير صفو العلاقات بين السيد أحمد والإنجليز، واعلان الحرب ، حيث اقام للسيد أحمد معسكرات قرب قرية (امساعد) الحدودية وضم اليه القبائل من سكان الواحات ،المصرية ، يسانده عدد كبير من المجاهدين الليبيين (*). فكما هو معروف فإن قيادة السيد أحمد الشريف للمجاهدين في المنطقة الشرقية التي كان يتولى قيادة الحرب فيها ضد الايطاليين الضابط التركي "أنور باشا" ولكن عقب معاهدة لوزان قام (أنور باشا) بتسليم أحمد الشريف ما تبقى لدية من الأسلحة والمؤن العثمانية في برقة ، وقد أكد أحمد الشريف لأنور باشا إستعداده لمواصلة القتال بصفته ممثلا للسلطان العثماني ومنذ ذلك الوقت أصبح أحمد الشريف حاكما شرعيا لإقليم برقة ، وتسلم مهامه بشكل رسمي في مايو سنة 1913 ، وشرع عقب ذلك في جولات تفتيشية ابتدأت من العزيات وانتهت بجدابيا ، فمر بجميع معسكرات الجبل الأخضر وأطلع على سير الأمور فيها ، ومطم المجالس الإستشارية بالمعسكرات كما انتخب أحمد الشريف بعض أعيان الحركة السنوسية ممن اشتهروا بالعزيمة والقوة وكان منهم الشيخ محمد علي بن عبدالمولى ، ومحمد الدرقي ومرتضى فركاش وأحمد بن إدريس الأشهب وأما الاوضاع في المنطقة الغربية فقد دعا "نشأت بيك" رؤساء القبائل إلى إجتماع فكان مؤتمر العزيزية 1912 (29)

دارت العديد من المعارك بين الإنجليز والأتراك بمساندة السيد أحمد الشريف حيث دارت معركة وادي ماجر خلال شهر ديسمبر 1915م (30) ، ومعركة بو تونس في 23 من شهر يناير 1916م ،ومعركة العقاقير ، معركة السلوم 1916م (31) وف 26 – فبراير – 1916 دارت المعركة الفاصلة بشرق سيدي البراني وفيها وقع جعفر باشا في الاسر بيد الانجليز ، وفي 24 – مارس – 1916 احتل الإنجليز مراكز عديدة في السلوم وتم الإستيلاء على المعسكر السنوسي ، ورغم محاولات الإنجليز طلب المهادنة مع أحمد الشريف الذي لم يجب مطالبهم بوقف الحرب ، بل توجه مع جنوده وقواده إلى الواحات البحرية والداخلة ، مارا بواحة سيوه فاستعد الإنجليز بجيش كبير لمواجهته واقاف تقدمه باتجاه مصر ودارت المعركة الفاصلة بين أحمد الشريف والانجليز وهي معركة (قربا) عند ضواحي الجغبوب ، حققت قوات المجاهدين بعض الإنتصارات ، ولكن جيش الإنجليز الحديث الذي كان بتعداد ستون الف مقاتل تمكن من هزيمة الجيش السنوسي الذي كان قوامه عشرون

ألفاً ، والمعتمد على الإبل والخيول ، وأدت هزيمة السيد أحمد الشريف إلى تنحيه من القيادة للحركة السنوسية وتولى ابن عمه إدريس السنوسي زمام الأمور السياسية في برقة (32).

- ويمكن أن نستعرض الأسباب التي كانت وراء فشل حملة أحمد الشريف في الآتي :

1 . انعكست الحملة بشكل سلبي على حركة الجهاد في ليبيا ، وذلك بإغلاق الإنجليز منفد السلوم الذي كان يغدي حركة الجهاد .

2 . اتصفت الحملة بالتسرع وعدم الإستعداد والتخطيط العسكري والإستراتيجي للقتال، ولم يكن جيش أحمد الشريف في مستوى القدرة القتالية لخوض حرب مع عدو قوي مثل الإنجليز مزود بأحدث الاسلحة، إضافة ان جيشه كان منهك من الحرب ضد الإيطاليين داخل الأراضي الليبية .

3 . ذهبت وعود الأتراك أدراج الرياح، ولم تتمكن غواصاتهم من تزويد الحملة بالمعدات والمؤن ، التي وعدت المجاهدين بها .

4 . انعكست حملة السيد أحمد الشريف على الأوضاع العسكرية والأقتصادية وحتى الإجتماعية عل برقة وما جاورها من المناطق، حيث توقف حركة الجهاد الليبي في برقة فترة طويلة باستثناء بعض المناوشات بين الحين والاخر مع الإيطاليين، ومن الناحية الاجتماعية فانه كانت تربط السيد أحمد الشريف علاقات قوية مع القبائل المصرية ، وقد هزت هذه الحرب صورته عندها وأدت الى زعزعة العلاقة بين الطرفين .

5 . أهدرت الحملة إمكانات المجاهدين العسكرية والاقتصادية ، وشهدت المنطقة (برقة) تراجع الجانب العسكري وبروز الجانب السياسي (المفاوضات) .(33).

وخلاصة القول أن دول المانيا وتركيا سعت كلا منهما على تحقيق مكاسب كبيرة من وراء خططهما ، بإشراك السيد أحمد الشريف في هذه الحرب الخاسرة التي كانت نتائجها وخيمة وذلك بتفتيت الصف العربي بين القبائل العربية التي كانت تعين بعضها لاسيما بين قبائل برقة والقبائل المصرية في مناطق السلوم وباقي الواحات المصرية ، فقد كانت مصر الشريان الرئيس في تغذية حركة الجهاد بالمؤن والمعدات، إلا أن مخططات الأتراك والألمان عملاً على تفريق الصف وتشتيت الجهود بإقحام أحمد الشريف واقناعه بالنصر محاولين الإيقاع بينه وبين الإنجليز من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة.

المبحث الرابع: هزيمة السيد أحمد الشريف ونهاية مقاومته :

المطلب الأول: خروج أحمد الشريف من ليبيا :

إنَّ خسارة دول المحور الحرب أمام الحلفاء في الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918 ، وجلوس الدول على طاولة المفاوضات في إتفاقية (مندروس) 1918 وقامت على أثرها الدول المنتصرة بوضع شروطها على الدول المهزومة ، وباعتبار إيطاليا إحدى الدول المنتصرة في الحرب وضعت بدورها شروط فيما يتعلق بقضية ليبيا منها انسحاب الأتراك من طرابلس الغرب ، أما في برقة وعقب خسارة حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر فقد طالبت إيطاليا بخروجه منها وانهاء مقاومته ، كما فرضت الوضعية الجديدة خروج إدريس السنوسي على مسرح الأحداث ، لتشهد هذه المرحلة سلسلة من الإتفاقيات مع الإيطاليين.(34).

في هذه الاثناء طلب السيد أحمد الشريف من قائده محمد صالح حرب أن يبعث إلى الأمير عثمان فؤاد المتواجد في مدينة مصراته وحمله رسالة السيد أحمد، التي طلب فيها من الأمير العثماني أن تقوم إحدى الغواصات الألمانية بنقله إلى النمسا ، ومنها إلى استامبول ، لمقابلة صديقة القديم أنور باشا وزير الحربية ، ووضعت تحت تصرفه غواصة قامت بنقله مع اتباعه ، بعد مغادرته جالو التي كان بها آخر معسكر له في برقه وبقى في ميناء العقيلة حتى 1918 م ومنها تمت المغادرة الى تركيا (35) .

لم تنقطع جهود أحمد الشريف ، في المهجر، إذ كان يكتب الرسائل لأهل الوطن والمجاهدين ليشد من ازرهم ، ورغم محاولته العودة إلى ووطنه لم يتمكن من ذلك بسبب المؤامرات والدسائس من قبل الإنجليز المعارضين لعودته وأصبح حبيس في منفاه الذ اختاره له الأتراك ،وعند صوله إلى تركيا طلب اليه مصطفى كمال اتاتورك الإنظمام الى ثورته وكان هذا الطلب أتار حفيظة السلطان العثماني محمد وحيد الدين الذي أرسل إلى أحمد الشريف ، الذي لم يبالى بهذا الطلب السلطاني، وسافر إلى منطقة (أسكن شهر) وقرر الإنضمام إلى مصطفى كمال أتاتورك ، الذي دعاه لطلب الحاجة لمساندة ثورته وذلك لما تتمتع به شخصية أحمد الشريف من احترام في العالم الإسلامي ، إد طلب منه مصطفى اتاتورك الذهاب إلى بلاد الأكراد لإخماد الثورات والفتن ، ووصل أحمد الشريف إلى ديار بكر واتصل بالزعماء ودعا القبائل العربية والكردية التي استجابت له، كما قام بتهدئة المتمردين في سوريا والعراق(36).

استمرت العلاقات الوطيدة بين أحمد الشريف ،ومصطفى كمال اتاتورك، إلى أن قام مصطفى كمال بعزل الخليفة الصودي عبد الجليل ، وقيامه تبديل النظم والمؤسسات الدينية وإستبدالها بمؤسسات علمانية ، وعندما خالفه السيد أحمد الشريف بعدم موافقته على هذه التغييرات والتطورات ، قام مصطفى كمال بإلغاء الحرس الخاص بالسيد أحمد الشريف. كما أتهمه بالخيانة ، وطلب منه مغادرة البلاد في مدة لا تتجاوز العشرة أيام ، أو يفرض عليه الإقامة الجبرية في تركيا ، فأثر السيد أحمد الخروج إلى مكة (37)

حاول أحمد الشرف عقب خروجه من تركيا العودة إلى ليبيا في كثير من الأحيان وذلك عن طريق الدعم الإنجليزي ولكنه فشل في ذلك ، ولقد قام أحمد الشريف بزيارة مدينة القدس ولكن طلبت منه فرنسا مغادرة البلاد في 1929م ، لأنه حاول تحقيق الوحدة بيت السوريين وتركيا ، لذلك حاولت فرنسا إلقاء القبض عليه فقام بالهرب وسافر في رحلة عبر الصحراء ليصل إلى مكة واستقبله الملك عبدالعزيز ال سعود (38) الذي وجه له دعوى لزيارته في مكة التي استجاب لها السيد أحمد الشريف ، وخلال اقامته بالحجاز كان يعامل بكل إحترام ، كما لعب دورًا بارزًا في تقريب وجهات النظر بين الملك عبد العزيز آل سعود ، وأمير عسير ، وكذلك الإمام يحي حميد الدين إمام اليمن .غير أن بعض الوهابيين تعرضوا له ، ورغم حياة الإستقرار التي حضي بها في الحجاز الا أنه كان دائم التطلع للعودة للوطن ولكنه يعلم أنه مستحيل أن يغادر المدينة المنورة إلى برقة دون مساعدة الإنجليز؛ ولذلك طلب وساطة بن سعود له مع الإنجليز لكي يسمحوا له بالعودة إلى برقة ولكن دون جدوى.

ويمكن القول أنَّ السيد أحمد الشريف كان أحد رموز الجهاد ليس في وطنه فقط ، بل في العالم الإسلامي لما قام به من نضال في كل مكان تطلب الواجب والجهاد ، وبدل كل جهوده من أجل القضية الوطنية ، وفي سنة 1930 تقدمت به السن فأقام في المدينة المنورة ، وكان دائم لمتابعة أخبار وطنه ليبيا ، وخلال هذه الاقامة من عام 1931م تلقى الأخبار بإعدام شيخ الشهداء عمر المختار ، وتدمير الإيطاليون لكل الزوايا وإقامتهم معسكرات الاعتقال التي لم تفرق بين الرجال والنساء والأطفال والشيوخ العزل ، ومصادرة الممتلكات، ولم يمضي عامان حتى كان قد توفي السيد أحمد الشريف في 10 – مارس – 1933 ، في الزاوية السنوسية بالمدينة المنورة ، ودفن في الدكة مع الشهداء ، وطويت بموته صفحة مشرفة في سجل النضال.(39)

المطلب الثاني: صدى وفاة السيد أحمد الشريف في العالم العربي والإسلامي :

تناقلت الصحف في العالم العربي والإسلامي خبر وفاة المجاهد أحمد الشريف، وعند وصول خبر وفاته نُعي من على مآذن المساجد في المدن الكبرى في مختلف البلاد وفاة السيد أحمد الشريف ، لما للحركة السنوسية من شأن في نشر الدين الإسلامي، إلى جانب دورها السياسي والعسكري في الحرب والجهاد ضد الإستعمار الأوروبي في شمال إفريقيا ، كونها أحد أهم الطرق الإسلامية بها (40) وقبل وفاته كانت صحف الحجاز أصدرت خبرا بأن السيد أحمد الشريف نزيل المدينة المنورة أصيب بمرض فالج ، وأن جلالة الملك بن سعود أمر بعد وصول الأمر اليه بمرض السيد أحمد ببدله غاية الجهد وإتخاذ التدابير لعلاجه ، وجاءت هذه الإهتمامات البالغة بالسيد أحمد نظرا لتاريخه الطويل وكفاحه ضد الاستعمار الأوروبي فرنسا وايطاليا وإنجلترا ، وخلال أسبوعين أوردت صحف الحجاز خبر وفاته ، لتنقل عديد الصحف في المشرق الإسلامي بأقلام كبار

الشعراء والكتاب وفاة السيد أحمد الشريف وتناقلها خبر وفاته ونشره فيما بينها ، بعد صدور الخبر في الحجاز.(41)

كما ذكرت صحف الحجاز بدورها تلقيها بريدا من دولة الهند حمل إستفاضة كاملة بأخبار السيد أحمد الشريف حول حياته وجهاده ، كما أقيمت صلاة الغائب في معظم الأقطار الإسلامية ، العربية كالعراق وجاءت الدعوات العامة من قبل الإذاعات للشعب لوفا الراحل الكبير حقه من الصلاة والذكر ، وسمعت خلال هذه المناسبة استغاثت وصرخات الشكوى من الإستعمار وفظائعه ومن هذه الإذاعات التي نشرتها "جمعية المؤتمر الإسلامي " ، في بغداد التي جاء فيها الكثير من الحديث حول الهجمات الإستعمارية للمنطقة العربية عبر تاريخها الطول مستشهده بحملة نابليون بونابرت على مصر 1798 – 1801م ، والهجمات المتتالية التي أعقبتها على بلاد المسلمين ، كما أستشهد في هذا الحديث بذكر أبطال من المسلمين كصلاح الدين الأيوبي والسيد أحمد الشريف الذين كتبوا في سجل المجاهدين الأبرار صفحات غراء من أنقى صحف الجهاد ، ووصف السيد أحمد الشريف ببطل طرابلس ، وبنغازي وبأنه حارب العدو في كل بلاد المسلمين ومتى تتطلب الأمر بالجهاد ضدهم .(42)

كما تلقت "لجنة الاتحاد الإسلامي " ، في سلا (المغرب الأقصى) رسالة تفيد بقيام صلاة الغائب على روح المجاهد السنوسي أحمد الشريف ، في سلا وسائر مدن المغرب ، ووصل عدد المصلين عشرات الالاف ، وأقفلت المدينة ساعة كاملة حدادا على روحه رغم المحاولات والجهود الفرنسية لإحباط هذه الصلاة بكافة الأساليب .(43)

أمَّا وقع وفاة السيد أحمد الشريف على المهاجرين الليبيين بالأقطار العربية بتونس وسوريا ومصر وغيرها ، كان له أثر كبير في نفوس أولئك المهاجرين ، فعقب تناقل خبر وفاته في بعض الصحف منها صحف فلسطين ولبنان ومصر وتونس ، ووصل الخبر الى المهاجرين منهم المهاجرين الليبيين بالأراضي التونسية ، فقد أحدث هذا النباء موجة من الحزن والأسف عمت جميع المهاجرين ، لذلك أقامت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بتونس تأبين للفقيد أقيمت فيه صلاة الغائب على روحه الطاهرة وحضر ذاك التأبين حشد كبير من المهاجرين الليبيين (44) ، بالإضافة إلى جمع غفير من التونسيين من بينهم الأدباء والمثقفون وعلماء الدين الإسلامي ، والقيت بهذه المناسبة كلمات التنديد والتشهير بتصرفات الإستعمار الإيطالي في ليبيا ، وكان لهذه المناسبة من ناحية أخرى أثر أوضح المخاوف الإيطالية من ردود الفعل تجاه وفاة المجاهد أحمد الشريف .(45).

خُلاَصةُ القول كان المجاهد أحمد الشريف رجل حرب من الطراز الاول، ارتبط أسمه وتاريخه بحركة مناهضة الإستعمار في كل أرض عربية مسلمة، تولى قيادة حركة الجهاد ضد الإيطاليين ، بعدما كانت مقاومته موجه ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد متخذا من الكفرة مقرا لعملياته العسكرية طيلة السنوات 1902 – 1914 ، وما أن وصلته أخبار الغزو الإيطالي لليبيا توجه مباشرة إلى الجغبوب معلناً الحرب والجهاد المسلح ضد الإيطاليين ، كما كان له الدور البارز في الحرب ضد الإنجليز في مصر خلال الحرب العالمية الأولى عام 1914 – 1918 .

الخـــــاتـــــمة:

من نتائج الدراسة التي توصلنا إليها ما يآتي :

1. بيَّنت هذه الدراسة شخصية السيد أحمد الشريف ، حيث بدأ هذا المجاهد النضال في سن مبكرة ، فقد كان بطلاً قومياً قارع القوى الإستعمارية التي تكالبت للسيطرة على العالم العربي والإسلامي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، متمثلة في الإستعمار الفرنسي الذي سيطر على مناطق السودان الأوسط وجنوب الصحراء 1899م، والغزو الإيطالي لليبيا 1911 م، وحربة ضد الإنجليز في مصر 1914 م، ولقد كان خلال هذه المرحلة الجهادية بطلاً قومياً جاهد في سبيل الله وسبيل الوطن، ولم يقبل بأي مساومات مع أعدائه .

2. إنَّ العلاقات والروابط بين الشعبين الليبي والتشادي والمتمثلة في وحدة العقيدة الإسلامية والمصالح المشتركة قد أوجدت الشعور المشترك نحو المصير الواحد تجاه الغزو الأوروبي لبلديهما، ووقوفهما معًا في خندق واحد عندما تطلب الأمر ذلك، فقد تصدى المجاهدون الليبيون للقوات الفرنسية 1899 – 1914م وسقط الكثير منهم شهداء فوق التراب التشادي .

3. تولى السيد أحمد الشريف راية الجهاد ضد الغزو الفرنسي لتشاد عقب وفاة عمة محمد المهدي سنة 1902م ، وقاد المعارك مع المجاهدين حيث تميزت هذه المرحلة بالتنظيم والبراعة، وكان خصمًا عنيدًا للعدو الذي تمكن من بسط سيطرته على تشاد خلال عام 1914م .

4. استكمل أحمد الشريف تنظيم حركة الجهاد في برقة عقب انتهاء القتال ضد الفرنسيين في تشاد، وتوليه الجهاد ضد الغزو الإيطالي لليبيا، وأنشأ نظام الأدوار وأقام عديد المعسكرات التي كان يشرف عليها، ودارت الكثير من المعارك وحقق انتصارات على الإيطاليين من خلال معارك سطر فيها المجاهدين بطولات خالدة .

5. كان إجبار أحمد الشريف على الإشتراك في الحرب ضد الإنجليز في مصر تحت ضغط الأتراك الذين لم يكن يهمهم إلا مصلحتهم ، وما أدى إليه فشل الحملة على الإنجليز في مصر من نتائج وخيمة، انعكست بشكل مباشر على حركة الجهاد داخل ليبيا في مقدمتها غلق منفذ السلوم الشريان الحيوي الذي كان يغدي حركة الجهاد ، وأصبحت برقة مشلولة اقتصادياً ، وتأثرت باقي المناطق بهده الأحداث .

6. كان لوفاة السيد أحمد الشرف عظيم الأثر في نفوس العرب والمسلمين في أنحاء كثيرة من العالم العربي والإسلامي؛ لما ارتبط به اسم المجاهد من الشجاعة والجهاد ضد الإستعمار الاوروبي .

الهوامش والتعليقات:

1- علي مصطفى هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى ، مركز الجهاد طرابلس، 1988، ص – ص 21-22

2- السيد يوسف ، فجر الحركات الإسلامية المعاصرة ، ط1 ، العربية لنشر ، القاهرة ،مصر ،(د.ت) ص 64 .

3- أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها (1202 – 1320 هـ) ، مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة، 1988 ص – 229

4- محمد الطيب الأشهب ، المهدي السنوسي ، بيتلو ماجي ، طرابلس ، 1951، ص76

5- المرجع السابق نفسه، ص 76.

6- محمد عبدالرزاق مناع ، (، أحمد الشريف حياته وجهاده ، ط1 ،مركز الدراسات الليبية ،1978 ، ص – ص 35 – 36

7- سعيد الحنديري ، (1983) ، العلاقات الليبية التشادية 1842 – 1975 ، مركز الجهاد طرابلس ، ص – ص 84 – 85

8- الرويعي محمد اقناوي ، جهاد الليبيين ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد 1901 – 1914 م جامعة قاريونس ، بنغازي ،2007 ، ص10 _ بحث منشور.

9- محمد سعيد القشاط ، الصحراء تشتعل 1899 – 1931 ، دار الملتقى ، بيروت ،1997، ص – 126 . أيضاً محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، المرجع السابق ص 160.

10-جان لوي تريو ،السنوسية في مواجهة فرنسا (حرب فرنسية ليبية منسية) ، ت – خالد محمد جهمية ،دار الفرجاني ، طرابلس ،2013 ، ص – ص 21 -22

11-عبد الرحمن الماحي ، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1804 – 1960 ، المكتبة المصرية للكتاب القاهرة، 1982 ،ص 148

12-المرجع السابق نفسه ، ص 148 .

13-سعيد الحنديري، " دور المجاهدين الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في تشاد " مجلة البحوث التاريخية ،ع1، مركز الجهاد ، طرابلس ، 2005، ص – ص - 131 – 132 .

14-علي عبداللطيف حميدة، (1995) ، المجتمع والدولة والاستعمار 1730 – 1932 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ،2008، ص 140

15-عبد الرحمن الماحي ، المرجع السابق ، ص 148

16-محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، ص 125

17-الرويعي قناوي ، المرجع سابق ، ص 14 .

18-- رسالة من السيد أحمد الشريف إلى أبوبكر البوسيفي يحرضه على الجهاد بتاريخ 29-مارس – 1913 المركز الوطني للمحفوظات ، طرابلس ، وثيقة مصنفة رقم (16) شعبة الوثائق والمحفوظات ، ملف أحمد الشريف .انظر الملحق (رقم 1) .

19-وثيقة بشأن جمع الزكاة من المواشي والغلال لدعم الجهاد لأهالي الزاوية بتاريخ 29 – مارس – 1913 المركز الوطني للمحفوظات ، طرابلس ، وثيقة مصنفة رقم (7) شعبة الوثائق والمحفوظات (ملف أحمد الشريف أنظر الملحق(رقم 2) .

20--صالح عبدالمولى الحرير، "منظمات وتشكيلات" ، مجلة البحوث التاريخية، ع1، مركز الجهاد طرابلس ، 1997، ص35.

21-محمد مانع ، جدور النظام العربي ، ط2 ،دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،1972 ص 48 .

22-المرجع السابق نفسه، ص 50 .

23-المرجع السابق نفسه ، ص 50 .

24-أحمد عبد العزيز الحصين ،، ماذا تعرف عن السنوسية ، سلسة ماذا تعرف ، ج2 ،ط1، 2007 ص 358.

25-محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، ط1 ، مطبعة الهواري ، القاهرة ،1949 ص 314

26-خليفة التليسي ،معجم معارك الجهاد الليبي 1911 – 1931 ، ط2 ،المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس ،1982، ص – ص 405 – 408

27-اسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ،المرجع السابق ص – ص 75 – 76.أنظر ايضا ، رفت عبدالعزيز – محمد اطوير ،(د.ت) ، تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الايطالي (1911-1931)، مركز الحضارة

28-علي عبداللطيف حميدة ، المرجع السابق ، ص- ص 168 – 169.، ايضا – محمد عبدالرزاق مناع ، أحمد الشريف حياته وجهاده ، المرجع السابق ، ص70

29-محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، المرجع السابق ، ص 314.

30-محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، المرجع السابق ، ص 314.

31-مصطفى علي هويدي ، المرجع السابق ص –ص 73 – 81

32-علي عبداللطيف حميدة ، المرجع السابق ، ص- 169 .

33-محند الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، المرجع السابق ، ص - - 316 – 317 .

34-مصطفى علي هويدي ، ، المرجع السابق ، ص –ص 95 -98 .

35-الطاهر أحمد الزاوي ، جهاد الابطال في طرابلس الغرب ، ط3 ، دارف المحدودة ، لندن 1984، ص- ص 262 – 292. ، ايضا – محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم المرجع السابق، ص 317 .

36-مصطفى علي هويدي ، المرجع السابق ، ص 166 .

37-محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، المرجع السابق – ص 321 .

38-عبد المولى صالح الحرير ، العلاقات بين أحمد الشريف وكمال اتاتورك ، المرجع السابق ، ص - ص 185 – 188

39-المرجع السابق نفسه ، ص 189 .

40-" المرحوم سيدي أحمد الشريف السنوسي شيخ السنوسية الثالث 1872 – 1932" ، صحيفة العرب (القدس الشريف) السبت 15 – نيسان 1933 .

41-"لمحة من تاريخ السنوسية والحرب الطرابلسية " (1933) ، صحيفة العرب -- القدس الشريف ، السبت العدد (30)، السنة الأولى ، 15 – آذار ،.1933.

42-"لمحة من تاريخ السنوسية والحرب الطرابلسية " ، صحيفة العرب -- القدس الشريف ، السبت العدد (30)، السنة الأولى ، 15 – آذار ،1933.

43-" صدى وفاة السنوسي في العالم الإسلامي" ،صحيفة العرب – القدس الشريف ، السبت العدد (36)،السنة الأولى ، 13- ايار 1933 .انظر الملحق رقم (4) .

44-المرجع السابق نفسه .

45-سالمة سالم ياسين ، المؤتمرات الوطنية الليبية ودورها في الجهاد الليبي ضد الإحتلال الإيطالي 1912 -1952 ، جامعة عين شمس ، مصر ، 2012، ص 189 . رسالة ماجستير غير منشورة .

46-. رويعي محمد قناوي ، الكفاح الوطني المهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1911 – 1945 ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1993 ص – 100 . رسالة ماجستير غير منشورة

ملحق رقم (1)

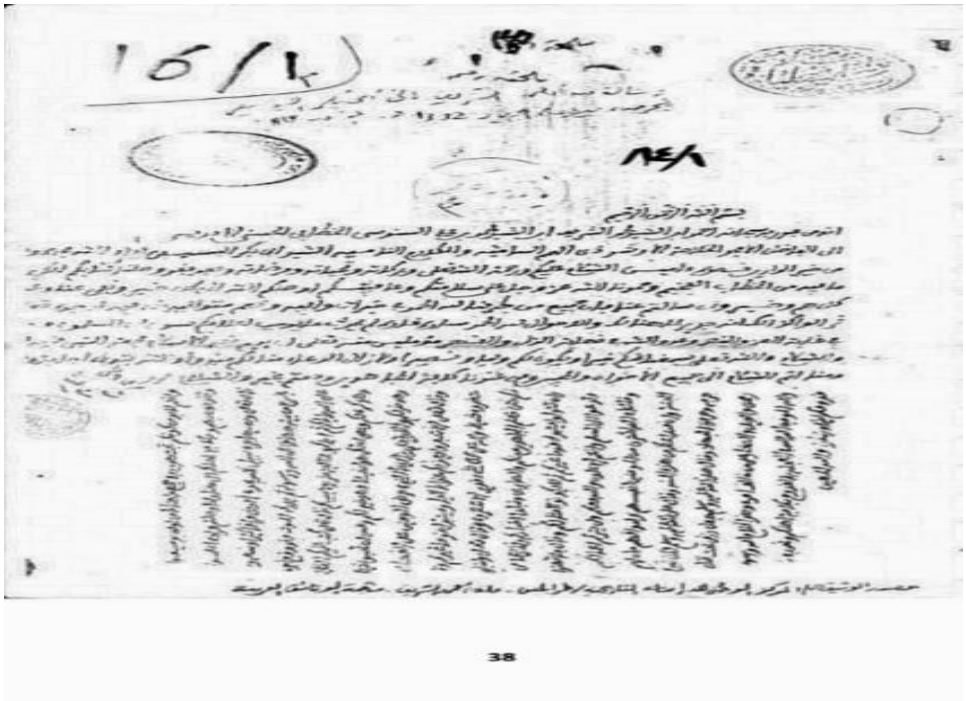

ملحق رقم (2)

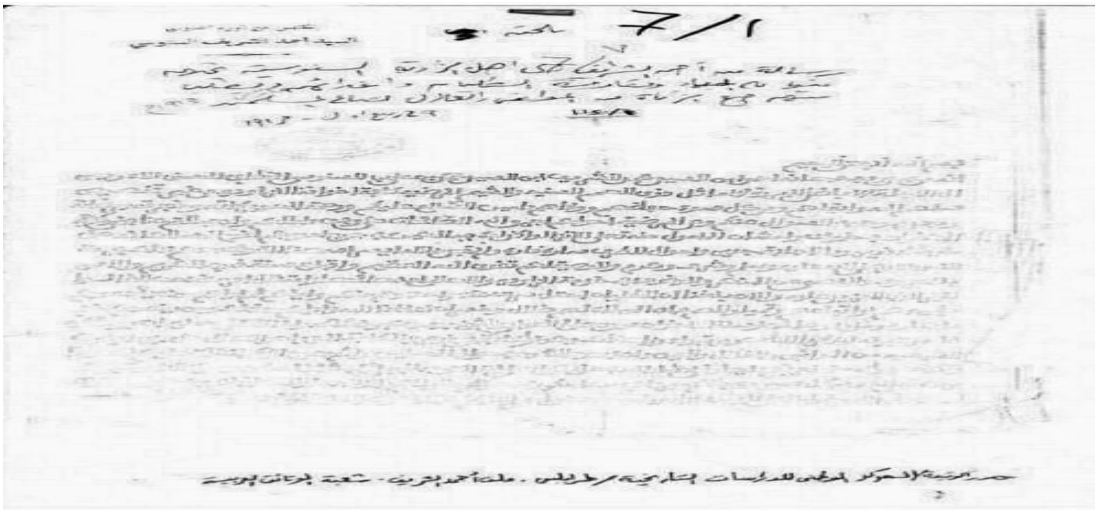

ملحق رقم (3)

وفاة المجاهد العظيم المرحوم سيدي أحمد الشريف في المدينة المنورة رجل القرن الرابع عشر الهجري " (1933) ، صحيفة العرب – القدس الشريف ، السبت ، العدد ، (30) السنة الأولى ،15 – نيسان .

ملحق رقم (4)

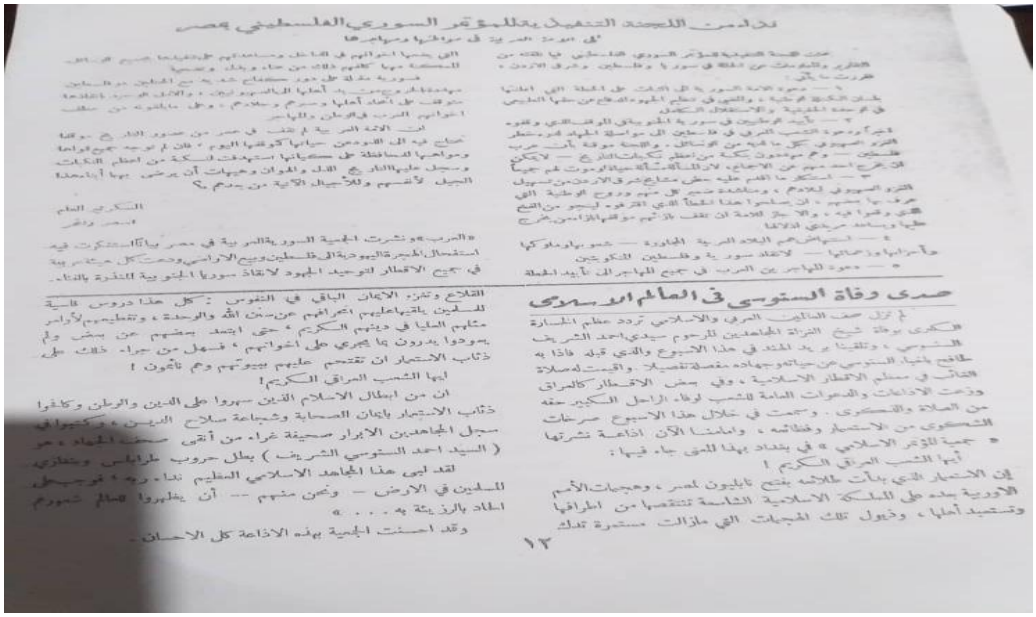

صدى وفاة السنوسي في العالم الإسلامي"(1933)،صحيفة العرب – القدس الشريف ، السبت العدد (36)،السنة الأولى ، 13- ايار